وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم العلوم التربوية والنفسية
الدراسات الاولية / بكالوريوس

التصور والتخيل

محاضرة تقدمت بها

أ.د وفاء كنعان خضر

التصور والتخيل:

التصور نشاط ذهني طبيعي للعقل يفترض وجود عالم حقيقي ليتحرك من خلاله العقل لمعالجة وفهم موضوع ما دون أن يكون هذا الموضوع بالضرورة حقيقي ولكن المعالجة تبدو حقيقية منتجة قابلة للانتقال بواقعية إلى الوجود الفعلي دون أن تصطدم باللاواقعية أو المحال اللا ممكن,وهنا يمكننا أن نفهم التصورات الذهنية على أنها نشاط معرفي للعقل الذي يخترق بقدرة تكيفية وتكوينية عالم الوجود المادي إلى ما هو خارج نطاقه ولكن يرتبط به برابط الإمكان.
فالتصور أذن ليس اختراعا للوجود بل ابتكار ماهيات بالصورة الذهنية المجردة حاضرة بالزمن اللا حسي أو اللا زمن حسيا الهدف من خلق وابتكار هذه الماهية هو لافتراض عالم يقبل بقوانين الوجود من غير حضورها المادي للوصول إلى نتائج من خلال تفاعل الماهية المبتكرة هذه مع حال التجاوز هذا وخلق معالجة أو صنع وعي خاص بحالة معين أو موضوع يجب أن يمتحن تحت قاعدة هل يمكن أو لا يمكن.
بمعنى أخر التصور هو بناء عقلي افتراضي في مساحة خالية من الحد الزمكاني والمادة لا يخرج عن نطاق الفاعلية الذهنية ولكنه يستهدف الواقع محتسبا للزمان والمكان ولا بد أن يتقيد بقوانين المادة, فليس التصور قفز على القوانين العامة التي تحكم الوجود والموجود أو هي افتراضات لا تعير في عملها أهمية لها لأنها بذلك تتجاهل حقيقة التكوين وموجبات تحققه وتتحول إلى وصف أخر.
نأخذ مثالا من الواقع كحال المعماري الذي يرسم في ذهنيته الهندسية مجموعة من التصاميم الهندسية التي تتعلق بمشروع عملي مبتدأ بحساب الممكن والمحال, كذلك يجسد افتراضيا مقدماته ونتائجه وحساب التناسب والموائمة بينهما,ولا ينسى أن يضيف أو ينقل ما هو غير معتاد أو مألوف في رسم هذه الصورة ليخرج بنتيجة تؤهل الافتراض المبدئي للإمكان ألحدوثي,متجاوز في ذلك عامل المادة والزمان والمكان في إنجاز المشروع بالصورة الذهنية هذه.
فهو لم يخترع وجود ولم يحدثه محكوما بقوانين الوجود المادي ولكن أبتكر لنفسه عالم وجودي ذهني بامتياز دون أن يصطدم بالقوانين الطبيعية التي تحده من تجاوز الممكن ألحدوثي الفعلي وتتناغم مع حساسية العقل وقدرته على صناعة وجود مفترض ولكن ذو أبعاد كاملة وحقيقي نسبي بالتجاوب.
أذن التصور نوع من أنواع المعرفة وشكل من أشكال النشاط العقلي وليس من

الصحيح جعل التصور خارج أطار الفعل العقلي السليم وهو نوع من أنواع النظر الفكري المستند في تأسيسه على الذاكرة القريبة والبعيد وعلى الوعي الحقيقي بالأشياء,وطريقا بدويا لبناء أسس تقام عليها فيما بعد مع توفر القدرات تجربة أما حسية مادية أو نظرية فكرية أو منتج معرفي يتلمس الواقع الوجودي ويصل إليه.
أما التخيل فهي عملية تشترك مع التصور في ميكانيكية النشوء والبدء لكنها تفترق عنه من أن الأولى لا تراعي دائما حدود الإمكان الحدوثي ولا تلزم نفسها أبداً بتوافق النتائج وتطابقها مع الواقع المادي ببعديه الزمان والمكان لو قدر لهذه العملية أن تترجم واقعيا,فهي أذن تبنى على افتراض يتملكه المحال إبتدأً في الصيرورة والشكل .
فالتخيل هو عالم من الافتراضات الذهنية تصاحب دائما حالة من تعجز أو شعور بالعجز أو الاستحالة الحدوثية في ذهن المتخيل ولكن في نفس الوقت هي لا تتصل دائما بقوى النفس الثالثة الناطقة ولكنها تجد في قوى النفس الثانية داعما وأرضية ترعى التخيل وتشبع رغبات ما تحت الإدراك الواعي للنفس الإنسانية وبالتالي فيكون التعاطي معها بالصورة السلبية هذه نوع من أنواع الأمراض التي تصيب النفس وتقعد بها عن محاولة استكشاف الواقع بالوسائل العقلانية أو المعرفية التي تتناسب مع القوة الأولية للعقل ذاته.
والفرق الأساسي بين التصور والتخيل هو القاعدة التي ينشأ بموجبها النشاط الذهني وكيفية إنشاء هذه القواعد والنتائج المتحصلة من تلك المقدمات والمعطيات,فالتخيل دائما يبنى على الاعتباطية في تقديم وتأخير الخيارات الممكنة والمتوقعة والقابلة للترجمة حدوثا وقبولا,وهنا يمكن أن نقول أن التخيل يبنى بصورة رئيسية على ما يناسب قوى النفس الحسية ويتناغم مع توجهاتها دون أن يكون للمتخيل قدرة على تعديل سير هذه القوى أو تقويمها من خلال هذا العمل الذهني أو يطور من قيمة التعاطي معها لبلوغ درجة أعلى في تلبية الحاجة أو الإستجابة للضرورات الملحة .
فالتصور له صفة عامة يمكن أن نضعها في أطار الإيجابية الضرورية والبُدية التي لا غنى عنها لتطوير القدرة الذهنية والمقدرة في تكوين المعرفة,أما التخيل فبالضد من ذلك تماما ولا يساعد في أنتاج المعرفة ولا يطور من آليات العقل الفاعلة بل من خلال التخيل المفرط قد تصبح تلك القوى والقدرات في تراجع حتمي من ناحية التشغيل والتفعيل وبالتالي التراجع العقلي الذي يرجع بالإنسان الكثير التخيل إلى السلبية التي تقوده حتما للتخلف عن مجارات الواقع والوجود المحيط.

التخيل(التصور) العقلي Mental Imagery

يبدي علماء النفس المعرفيون اهتماما بموضوع التخيل العقلي باعتباره نوعا من العمليات العقلية ذات العلاقة بالعديد من الانشطة الاخرى كالاحلام والتفكير والتذكر وفهم اللغة والمحاكمة العقلية وتكوين المفاهيم. وبالرغم من سهولة الحديث عن التخيل العقلي كعملية عقلية، الا ان هناك صعوبة في ايجاد تعريف واضح ومحدد له.

يعرف باور(Bower,1970) التخيل العقلي على انه صورة او خيالImage ذاكري لشيء او حدث يعطي موضوع الخبرة بعض المعلومات البنائية مماثلة تماما لتلك التي تمت خبرتها في عمليات الادراك الحسية المباشرة لذلك الشيء او الحدث . فالتخيل العقلي وفقا لهذا التعريف هو بمثابة صورة انعكاسية يتم تشكيلها للاشياء والمواضيع التي يتم خبرتها على نحو حسي، وهو بذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بالخبرة الاصلية لموضوع او حدث معين.

وظائف التخيل او التصور العقلي Functions of Imagery

لقد انصب اهتمام علماء النفس التجريبين في دراسة التخيل العقلي في نهاية الخمسينات من القرن الماضي على دراسة الوظائف التي يضطلع بها التصور العقلي في نهاية عمليات الاحتفاظ والتذكر. وظهر كنتيجة لذلك عدد من الادلة التي تؤكد ان التخيل العقلي يسهل عمل الذاكرة من حيث تخزين المعلومات وتذكرها ومن الامثلة على ذلك ما يلي:

اولاً: اظهرت نتائج دراسات باور Bowor 1972 وبافيو paivio 1971 ان الافراد عندما يطلب منهم تشكيل صورة ذهنية(تخيل) للمفردات التي تعرض عليهم ويطلب منهم الاحتفاظ بها في الذاكرة ، فان عملية استرجاع المفردات تكون سهلة وسريعة على نحو اوتوماتيكي.

ثايناً:اظهرت نتائج دراسات اخرى، ان سهولة استرجاع المفردات ترتبط الى درجة كبيرة بقيمة التقدير التي يعطيها الافراد حول سهولة تشكيل الصورة الذهنية للمفردات التي تعرض عليهم. ففي مثل هذه الدراسات كان يعرض على الافراد قائمة من

المفردات، وكان يطلب منهم اعطاء تقدير لمدى سهولة وسرعة تشكيل صورة ذهنية لكل مفردة من هذه المفردات، وقد اظهرت النتائج ان المفردات التي اعطيت تقدير اعلى من حيث سهولة تشكيل الصورة الذهنية لها، كان تذكرها اسرع من المفردات التي اعطيت تقدير اقل . وانطلاقا من ذلك، فان التخيل العقلي يمكن ان يسهم في تحقيق الوظائف التالية:

1.تسهيل عملية تخزين المعلومات بالذاكرة والاحتفاظ بها لفترة اطول.

2.تسهيل عملية تذكر المعلومات واسترجاعها بشكل اسرع.

3.تسهيل عملية ربط المعلومات معاً في الذاكرة.

نظريات التخيل العقلي:

هناك فئتان من النظريات حول موضوع التخيل العقلي ودوره في عملية تمثل المعلومات في الذاكرة طويلة المدى، وتتبنى كل فئة من هذه النظريات وجهة نظر مختلفة بهذا الشأن،وفيما يلي عرض لهذه النظريات:

اولاً:نظرية الترميز المزدوج(الثنائي) Dual-coding theory

اقترح بافيو1971 paivio نظرية حول الذاكرة طويلة المدى تعرف باسم نظرية الترميز المزوج، حيث يرى ان المعلومات في الذاكرة طويلة المدى تخزن في نظامين ولكنهما مترابطاان بالوقت نفسه: الاول يعرف بالترميز اللغوي او اللفظي وهو مخصص لمعالجة وتمثيل المعلومات اللفظية المرتبة بتسلسل معين، وثانيهما يعرف بالترميز الصوري او التخيلي او المتخصص بتمثيل المعلومات المكانية والفراغية، ويرى ان هذين النظامين مترابطان معاً على نحو كبير لدرجة ان الفرد يستطيع انتاج لفظة(اسم) لصورة او انتاج صورة للاسم او اللفظة.

يقترح بافيو ان عملية الاحتفاظ بالمعلومات وتذكرها يعتمد على اسلوب تقديم المعلومات للفرد وطريقته في تمثلها، حيث يرى ان المعلومات التي تقدم لفظاً وصورة للفرد يكون تذكرها اسرع واسهل من تلك التي يتم تمثلها من خلال اسلوب واحد من الترميز.

ويشير بافيو ان عملية ترميز المعلومات وتمثلها من قبل الافراد يعتمد الى درجة كبيرة على مدى اهمية المعلومات بالنسبة للفرد، اذ يرى ان المعلومات التي تبدو اكثر اهمية للفرد غالبا ما يتم ترميزها على نحو لفظي وصوري، في حين ان المعلومات التي لاتبدو ذات اهمية بالنسبة له فقد يتم ترميزها وفق نظام واحد من الترميز.

ومن الادلة التي تبرهن صحة هذه النظرية هي الادلة التي جاءت من دراسة نصفي الدماغ فمن المعروف ان الدماغ يتألف من قسمين متماثلين: هما النصف الايسر والنصف الايمن، فالنصف الايسر مسؤول عن ادراك وانتاج اللغة، في حين ان النصف الايمن متخصص في ادارك العلاقات المكانية والفراغية، وعليه فاذا اخدنا بفرضية نظرية الترميز المزدوج، فهذا يعني ان التحول من نظام ترميز الى اخر يجب ان يصاحب بالتحول في النشاط من قسم الى اخر من اقسام الدماغ . لقد اظهرت نتائج دراسات سيمون وجازانجا Semmon & Gazzaniga 1973 ان القسم الايمن من الدماغ يكون اكثر نشاطاً في حالة الطلب من الافراد استخدام التخيل او التصور في حفظ قوائم المفردات مقارنة بالقسم الايسر، حيث ان ردة الفعل الزمني تكون اسرع في هذا القسم منها في القسم الايسر، ولكن في حالة الافراد الذين طلب منهم حفظ قوائم المفردات اعتماداً على اسلوب الممارسة اللفظية(التسميع)، فان ردة الفعل الزمنية تكون اسرع في القسم الايسر منها في القسم الايمن، اذ يكون القسم الايسر اكثر نشاطاً من القسم الايمن.